الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي1945 قالمة

كلية الآداب واللغات — قسم اللغة و الادب العربي

الملتقى الدولي الخامس في الادب و المنهج

آليات تأويل النّص الأدبيّ في ضوء المناهج النّقديّة الحديثة

يومي 29/30 أفريل 2014

تأويلُ الوثيقة التّاريخية في الرّواية العربية المعاصرة
المرجعية الواقعية و التّخييل الروائي

د.عبد الغني بن الشيخ
ج/ محمد بوضياف. – المسيلة–

مدخل:

تتّجه الرواية العربية المعاصرة إلى استدعاء الأحداث والوقائع التاريخية، بطريقة تختلف جوهريا عن أساليب الرواية التاريخية التي عرفها عصر النهضة، ولعل أهمّ ما يميّز الخطاب السردي المعاصر هو التداخل الحاصل بين ما هو تاريخي موثّق و ما هو تخييلي محض، بسبب اشتغال الروائي على المادة التاريخية الموثّقة،ممّا يجعل فعل تأويل الوثيقة مرتبطا كل الإرتباط بالملتقي أو القارئ، من حيث خلفيتُه الثقافية و انتماؤه، ومن حيث تجربته القرائية لمثل هذه النصوص،مما يجعل فعل التأويل متعددا و متغيرا بتغير القراء وآليات القراءة نفسها.

أ– جدلية العلاقة بين الرواية و التاريخ :

تشغل الرواية موقعا خاصا بين أنواع السرد الأخرى، وإنْ كان تعريفها أمرا لا يخلو من إشكال وتعقيد، فالمنظرون والنقاد يقدمونها لنا عادة على أنها مزيج من الأنواع، ولكنهم لا يحتدون لنا ما هي الرّواية بل ما ليست إياه[1] وعن ذلك الإشكال، يقول عبد الملك مرتاض:" تتّخذ الروايةُ لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء وتتشكّل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يُعسّر تعريفها تعريفا جامعا مانعا، ذلك لأننا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تستميز عنها بخصائصها الحميمة"[2]

وهذا التداخل الحاصل بين الخطابات المختلفة الأجناس في خطاب الرواية هو ما يطرح الإشكال في علاقتها بالخطاب التاريخي كجنس خطابي، بات له حضورٌ مميّز في الرواية العربية المعاصرة، وإن كانت العلاقة بين التاريخ والأدب عريقة، في الآداب العالمية، فقد اعتُبِر لتاريخُ

حتى نهاية القرن الثامن عشر نوعا من الأدب بمفهومه الواسع، مما أتاح له أن يقاسم الأشكال التخييلية تراثَ البلاغة وفنونها، و منها استقى طرائق تنظيم موضوعه وعرضه و تقديمه[3]

ورغم أنّ المؤرخين عزفوا عن توظيف زخارف الأساليب البلاغية في مؤلفاتهم، بحلول القرن التاسع عشر، بالإعتماد على مناهج التوثيق العلمية،فإنّ التاريخ ظل متموضعا بين الإنسانيات والعلوم الإجتماعية بما يطرح الإشكال، وأدى التشكيك في دعاواه العلمية في الأربعينيات من القرن العشرين إلى مناقشة وضعه النظري مناقشة شاملة في أمريكا وإنجلترا [4]

وبالرجوع إلى النّص الروائي العربي ذي العلاقة بالتاريخ، تتجلى لنا حقيقة ثابتة وأكيدة عن علاقة الحكي بالتاريخ والتاريخ بالحكي العربي، وذلك منذ بداية التدوين، وهو ما تؤكده الدراسات والأبحاث النقدية والأكاديمية التي عالجت المسألة من جوانبها المتعددة سواء على المستوى الشكلي أو الدلالي[5]

لكن ذلك ظل محصورا لدى فئة من الروائيين الذين شغفوا باستدعاء التاريخ العربي وأحداثه الكبرى في نصوصهم الروائية، ولهذا فإن " الدارس لتاريخ علاقة الرواية بالنص التاريخي سيقف عند استنتاج: أننا لم نؤسس حتى الآن لرواية تاريخية بالمعنى الكمي ولا حتى بمعنى ظهورها بوصفها جنسا قائما، بقدر ما هناك نصوص فردية،تبرز في تجربة الروائي داخل إطار بحثه عن خيارات سردية، وليس خيارا استراتيجيا كما حصل مع جرجي زيدان وروائيين قلائل جدا " [6]

إلا أن تلك العلاقة القائمة بين التاريخ والرواية لا تعني بأي حال من الأحوال تطابق أساليب خطابيهما وتماثلهما، إذْ يتمثل دور الكتابة التاريخية في وصف الأحداث كما هي أو بالأحرى كما جرت، و عرضها على حقيقتها بقدر كبير من الموضوعية،على خلاف الكتابة الأدبية التي تنزح إلى الخيال والذاتية[7]

وهو ما سرس نقد ما بعد الحداثة على طرحه وإثارته كإشكال، ونعني به إشكالية الفصل والوصل بين خطاب الرواية وخطاب التاريخ، من جانب أن كليهما يستمد مرجعيته من الواقع،

وإن لم يكن ذلك بموضوعية تامة، كما أن لكليهما بنيته السردية المتفاوتة في الدرجة الأدبية بطبيعة الحال وذلك ما يجمعهما[8]

إلا أنّ ثمّة منطقة وسطى بين التاريخ والأدب يتقاطع عندها الخطابان السرديان، ثم يوشك أحدهما الإنفصال عن الآخر ويتمثل ذلك في خصوصية الكتابة التاريخية التي تنحصر في طبيعتها المرجعية المجردة وفي لغة خطابها الإبلاغي النفعي،الذي يروم إلى الكشف عن القوانين المتحكمة في تتابع الأحداث والوقائع، في حين تسعى الرواية على وجه الخصوص إلى تغليب الجانب الجمالي بدل النفعي وذلك بتقديم الوظيفة الإنشائية على الوظيفة المرجعية، كون الرواية قبل كل شيء عملا فنيا من صنيع مخيلة الروائي،الذي قد يعمد إلى المادة التاريخية فيقوم بتحويلها إلى مادة روائية تخييلية في حين لا يمكن للمؤرخ ــ بصفته مؤرخا ــ أن يتصرف في المادة التاريخية التي تظل عنده منتجا أوليا ينبغي عرضه بأمانة موضوعية ولغة نفعية قدر الإمكان[9]

وقد يصبح النص المستدعى من أحداث التاريخ وكتبه أحد المكونات الروائية الرئيسية التي يقوم عليها خطاب رواية ما، وإن لم تكن تلك الأحداث هدفا روائيا في حد ذاته، وإلا لما كانت الحاجة لكتابة رواية أصلا،إذ الأهم في كل ذلك هو الطريقة التي تُقدّم بها الرواية تلك الأحداث المسترجعة روائيا[10] ومن ثمّ، فإن طريقة اشتغال الروائي على المادة التاريخية هو ما يعطيها خصوصيتها على المستوى الروائي ويأى بها عن أسلوب التّأريخ ومنطقه.

2ــ إشتغال الروائي على الوثيقة التاريخية:

في إطار العلاقة بين التّأريخ والكتابة الروائية، يطرح سعيد يقطين في كتابه قضايا الرواية العربية الجديدة إشكالية جوهرية، حصرها في جملة من التساؤلات: ما الذي يقوم به الروائي حين يستقي مكوّنات ' مادته الحكائية ' من غير الزمان الذي يعيش فيه؟ هل هو يكتب رواية تاريخية باعتبارها خطابا،أي: نوعا سرديا له خصائصه ومميزاته الطبيعية والوظيفية؟ أم أنه يكتب رواية

بغض النظر عن نوعها التاريخي،مستثمرا المادة الحكائية التاريخية كما يمارس فعله كتّابُ هذا النوع الروائي؟[11]

وفي سعيه للإجابة عن الإشكالية المطروحة، يخلص إلى أنّ: كلّ التعريفات والتحديدات التي تقدمها لنا المعاجم والدراسات المختصة في الخطاب الروائي التاريخي تكاد تتفق جميعها على كون الرواية التاريخية عملا سرديا، يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخييلية، تتداخل فيها شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة، ولذلك فإن ما يجعلها مختلفة في خطابها عن الخطاب التاريخي هو طابعها التخييلي [12]

من هذا المنطلق، تتحدد طبيعة العلاقة التناصية بين الرواية والتاريخ في فضاء دينامية التخييل ذاته، مثلما هو الحال في نصوص روائية لــنجيب محفوظ وجمال الغيطاني ونبيل سليمان وأمين معلوف و رضوى عاشور وعبد الله العروي وهاني الراهب وعبد الرحمن منيف وأحمد التوفيق و واسيني الأعرج وغيرهم، حيث تستند الرواية في بناء عالمها التخييلي إلى المرجعية التاريخية، باختلاف في درجة الخصوصية السردية وكذلك الرؤية والأفق عند كل روائي من هؤلاء الروائيين[13]

ومما تجدر الإشارة إليه ــ هنا ــ هو أن استدعاء التاريخ في الرواية العربية المعاصرة ليس مجرد استنساخ لأحداث جرت أو تصوير سردي لها، بل هي أقرب إلى قراءة لواقع آني، بعيد إنتاج أحداث شبيهة بتلك التي وقعت في زمن سابق بعيد عن الزمن الحاضر، وإن اختلفت الظروف والأمكنة والشخوص.

وهو ما يؤكده عبد الرحمن منيف بقوله: " أما مدن الملح فليس سهلا أن نطلق عليها رواية تاريخية، ونكتفي بهذه التسمية،لأن أحداثها وتأثيرات هذه الأحداث لا تزال تجري أمام أعيننا، أيّ: الآن وعلى امتداد المنطقة العربية [14]

ولمّا كانت الرواية تستدعي التاريخ في خطابها، فإنه من الممكن تحري مصادرها التاريخية، التي تحيلنا هي نفسها عليها، من خلال شبكة المعلومات والإشارات الدالة على الأزمنة

وأسماء الأمكنة والأشخاص، و قد يحيلنا إليها مؤلف الرواية نفسه، كما هو الحال بالنسبة لجمال الغيطاني في روايته "الزيني بركات"

حيث يحيلنا الخطاب التاريخي في هذه الرواية إلى فترة تاريخية من الفترات التي أرّخ لها محمد بن أحمد ابن إياس في كتابه المشهور:" بدائع الزهور في وقائع الدهور"[15] وإن كان الروائي قد تصرّف في إعادة صوغ الأحداث والوثائق التاريخية بأسلوبه الخاص، وبتقنياته الروائية الخاصة، وهو ما ينطبق على روايات عربية أخرى مثل: ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، ورواية كتاب الأمير ــ مسالك الحديد لواسيني الأعرج وثلاثية غرناطة ــ مريمة ــ الرحيل لرضوى عاشور.

لكن، ومهما كانت المصادر التي يكون الروائي قد شكل منها تناصه التاريخي في روايته فإنه " لا يكتب تاريخا وما ينبغي له، وإنما تراه يُلَحّم جهده، شيئا يحمل طابع التاريخية الروائية، ذلك بأنّ الإبداع الروائي إنما ينهض على فكرة من التاريخ بشيء بادٍ من الضرورة، ويتمثل،حتما، مظهرا من مظاهر البناء الذي بمقتضاه تستطيع قراءة ما يحدث للكائنات، والأشياء والأفكار، ولاسيما ما يحدث لرواية وهو بصدد تبييج عمل سردي خيالي [16]

3ــ تأويل الوثيقة التاريخية في الرواية

أ ــ النص والتأويل :

ينطلق أمبرتو إيكو في عرضه ومناقشته لقضايا التأويل من تصور بالغ الأصالة والعمق، تصوّرٌ يجد في التأويل وأشكاله صياغات جديدة لقضايا فلسفية موغلة في القدم لكنها تظل ذات أهمية في القراءات التأويلية المعاصرة[17] ليقف بعدها عند حالتين يعتقد أنهما أرقى شكلين عرفهما التأويل من حيث التداول والعمق: حالة أولى يكون فيها فعل التأويل محكوما بمرجعياته وحدوده وقوانينه وضوابطه الذاتية، ممّا يقف حاجزا أمام فرضية التأويل اللامتناهي، أما الحالة الثانية فهي تلك التي يلج فيها فعل التأويل مناهات لا تحكمها أيّة غاية، باعتبار النص نسيجا من المرجعيات

المتداخلة فيما بينها، دون ضابط ولا رقيب، مما يجعل مجال التأويل في هذه الحال،مفتوحا على ما لانهاية له من الدلالات الممكنة[18]

لذا، يذهب ميشال فوكو(Michel Foucault) إلى أننا:" كلما أغرقنا في التأويل نقترب في الوقت ذاته من منطقة شديدة الخطورة، لا يرتد عندها التأويل على أعقابه فحسب، بل يختفي كتأويل، مُحدثًا معه اختفاء المؤول ذاته"[19] وإذا كان التأويل لا نهاية ولا حدّ له، فهذا يعني أنه لا وجود لما يُؤوّل، فكل علامة في هذه الحال هي تأويل لعلامة أخرى وكل تأويل سيستحوذ على تأويل سابق ويقلبه وهكذا[20]

أما شارل ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce) فيذهب إلى تحديد توجهات سيميوطيقية ثلاث: الأول تداولي وهو يخص ذات المتكلم في الخطاب والثاني دلالي يُعنى بالعلامة والمُشار إليه ،أمّا التوجّه الثالث فهو سياقي، يصف العلاقة بين العلامات فيما بعضها بعضا. وفي التداولي يأتي الدال التاريخي على اعتباره دالا مُحمّلا بمدلول متفق عليه لارتباطه بالواقع التاريخي، لكن هذا الدال ذاته إذا ما وقع في سياق أدبي وبصفة أخص في سياق روائي، فهذا يفسح مجالا للتأويل بناء على علاقات جديدة احتفى بها ذلك النص الروائي، بموجب ظواهر وخصوصيات أسلوبية جعلت من النص نصا أدبيا قابلا لمستويات مختلفة من التأويل[21]

ب ــ تأويل العتبات :

يرى برنار فاليط (Bernard Valette) أن الدخول إلى عالم المتخيل الروائي يتطلب مراعاة جملة من الطقوس ومجاوزة عدد من المنافذ النصية، كالعنوان الفوقي ثم العنوان التحتي،فالتوطئات ونصوص الإهداء والإشارات الإستهلالية وغيرها.. وبرأي فاليط دائما فإن العناوين و العتبات والإحالات السياقية المختلفة وظيفة ربط النص بأصول جنيسة أو تيمية أو شخصية[22]

ولقد اعتدنا أن يكون اسمُ الشخصية في الرواية التاريخية اسمَ علم يحيل إلى شخصية تاريخية أو اسم مكان تاريخي أو اسم مدينة أو معركة أو حادثة تاريخية[23]

والقارئ حين يقرأ على غلاف رواية ما " طارق بن زياد أو غرناطة أو الأمير فإنّ مثل هذه الأسماء تحيل ذهنه للوهلة الأولى إلى فضاء التاريخ، وربما نقله العنوان إلى مكان جغرافي محدد، أو حادثة محدّدة سلفا[24]

وذلك ما تقدّمه لنا بالضبط العديد من الروايات العربية المعاصرة من خلال عناوينها، مع ملاحظة أن مستوى التلقي سيكون مختلفا ومتباينا في الدرجة بحسب مخزون القارئ الثقافي و الأدبي وكذلك الفكري، وربما تطلب منّا العنوان لفك دلالته العودة إلى المصادر للبحث عن مدلوله كما هو الحال في رواية " الزيني بركات " فرغم أنها تحيلنا ظاهرا إلى اسم علم، إلا أن غير العارف بالتاريخ المصري لا يمكنه أن يعرف من يكون بالتحديد هذا " الزيني بركات " وهل هو اسم حقيقي أم تخييلي؟ بينما المُطّلع على التاريخ المصري فيكون تأويله مختلفا تماما وأعمق مما سيصل إليه القارئ العادي.

إن اختيار عنوان الرواية وموضوعها الرئيس كان من أبرز الأمور التي تعكس مفارقة الإلتباس التي انبنت عليها هذه الرواية فـ"الزيني بركات" شخصية تاريخية حقيقية،يتردد اسمها في مواضع ومشاهد كثيرة من حوليات ابن إياس والغيطاني يرسمه على معطيات تنطق بها نغمة ابن إياس في الحديث عن الزيني أكثر مما تنطق بها لغته الواضحة المباشرة، حيث تقول اللغة إنه قاض عادل محبوب من عامة الناس،ملتزم بالفروض الدينية أما النغمة الباطنة فتحمل موقفا مخالفا ، هو أنه خائن وقادر على التواؤم مع كل السلطات[25]

يقول خيري دومة : " وهكذا يعكس العنوان " الزيني بركات " صيغة المفارقة المركبة التي انبنت عليها الرواية، فهي رواية عن واقعنا المعاصر لكنها حول شخصية تاريخية وحقيقية وكاملة، والزيني بركات اسم جميل ينطوي على فرحة وبهاء لكنه لا زيني ولا بركات ولا ينطوي إلا على الظلم والقهر والخداع قاد إلى الهزيمة والإنهيار الكامل"[26]

وما ينطبق على عنوان رواية "الزيني بركات" ينطبق على عنوان رواية "غرناطة" لرضوى عاشور، حيث أنّ تأويل دلالته ستختلف مستوياته باختلاف مستويات القراء الثقافية والتاريخية.

وأمّا كان العنوان ــ فضلا عن أنه يشكل حمولة دلالية ــ علامة تواصلية لها وجود مادي ومن خلالها يكون أول اتصال بين النص والمتلقي، فإن العنوان يغدو بذلك إشارة مختزلة ذات بعد إشاري سيميائي، ومن ثمّ، يؤسس لفضاء نصي واسع قد يفجّر ما كان هاجعا في وعي المتلقي أو لاوعيه من حمولة ثقافية أو فكرية يبدأ المتلقي معها فورا عملية التأويل[27]

وهو ما قد تفجّره العلامة السيميائية "غرناطة" في ذهن القارئ العربي عامة و والقارئ المسلم بصفة أخصّ ، بما تمثله غرناطة من مدلول ثقافي وحضاري وتاريخي فقد " كانت **(Granada)** قبل الفتح الإسلامي للأندلس مدينة إسبانية صغيرة عادية،مثلها مثل اية مدينة إسبانية، وبمرور الزمن حلّت غرناطة محلّها، حتى غدت إحدى إمارات الطوائف ثم حاضرة مملكتها، وهي المنطقة التي استطاع نفر من رجال الأندلس بقيادة ابن الأحمر الإحتفاظ بها مدة قرنين ونصف، هي بقية عمر سلطان المسلمين في الأندلس، ولقد اعتبر من الغرائب استمرار مملكة غرناطة هذه المدة، رغم صغرها وعدد سكانها محافظة على ما بقي للمسلمين من سلطان سياسي ووجود حضاري متميّز[28]

لكن القارئ ذاته وهو يتواصل مع العنوان، يدرك منذ البداية أن الأمر يتعلق بتخييل روائي، فيشرع في بناء أفق انتظار قائم على التخمينات والتساؤلات واستباق الأحداث التي ان تكون بطبيعة الحال استنساخا لأحداث تاريخية موثقة، وهو ما يدفع القارئ لتتبع أحداثها في إطار فضاء السرد الروائي معتمدا على مخزونه الثقافي والفكري معا.

وهو الحال نفسه عند قارئ عربي يهم بقراءة ثلاثية أرض السواد والتي هي كناية عن الخضرة الشديدة التي توهم من ينظر إليها على أنها سواد، وهي التسمية التي أطلقها الفاتحون المسلمون على العراق لما فتحوها لأول مرة فبدت لهم أرضها على مسافة سوداء من شدة الإخضرار[29]

لكن التساؤل التأويلي لدى القارئ قد يكون بهذه الصيغة: لم وقع اختيار الروائي على هذا العنوان بالتحديد؟ والحقيقة أن هذا العنوان فيه من الإحالات والدلالات أكثر ممّا لو كان عنوان الرواية "العراق" على سبيل المثال، فالمركب الإضافي أرض السواد فيه نسبة من الغموض وهو قد يحيلنا

في دلالاته إلى معانٍ مختلفة ،أما "العراق" فإنه يحيلنا كعنوان إلى بلد العراق فحسب، فضلا أنه عنوان غير شاعري وهو أقوم لأن يكون عنوان كتاب في التاريخ لا عنوان رواية.

وهكذا فإن العنوان في مثل هذه الروايات يدخل القارئ في حالة مستبقة من التخمينات و التأويلات قبل أن ينتقل إلى مرحلة تأويل النص تدريجيا، منتقلا من مقطع سردي إلى آخر حتى آخر جملة سردية في الرواية.

ج ــ تأويل الوثيقة والإحالات المرجعية :

يمكن القول إن الرواية بمختلف أشكالها هي أقرب ما يكون إلى التاريخ، فكل نوع منها يوازي بصورة ما لونا من الكتابة التاريخية، إلا أن الرواية مع ذلك لا يمكن أن تكون وثيقة من وثائق التاريخ يمكن الإعتداد بها مثلما يعتد بالوثيقة التاريخية، حتى في حالة الرواية الواقعية التي توازي النوع الأول من التاريخ حيث يسرد الروائي أحداث عايشها ورآها[30]

أما النوعان الآخران من الرواية ومن التاريخ أيضا حيث لم يشهد الراوي وقوع الأحداث، ولم ير الشخصيات، وإنما هو يستعيدها ويتصورها ويبينها و يسردها، مستعينا بوثائق وبروايات أصلية عن تلك الحوادث، فمن الصعوبة بمكان أن تتحول مادتها إلى وثيقة، لأن الكاتب فيهما سواء كان روائيا أو مؤرخا يكتب تحت تأثير أزمات الزمن الحاضر وأحداثه، مُوجّها بدرجات من الرؤية الذاتية والفلسفة الخاصة [31]

ذلك حال الروائي جمال الغيطاني في رواية " الزيني بركات " الذي اشتغل على المادة التاريخية لعصر لم يعش أحداثه، و بشكل يختلف عمّا نجده في الرواية التاريخية العربية بأساليبها التقليدية كما عند جرجي زيدان، فالرواية التاريخية عند هذا الأخير، تظل فيها الشخصيات التاريخية أسيرة تاريخيتها، وتظل بمعزل عن مشاركة القارئ الذي لا يجد قاسما مشتركا بينه وبينه، كما أنها شخصيات مكتملة النمو لا تتطور بتطور الأحداث فلا تتغير ولا تتبدل[32]

في حين أن الشخصية التاريخية في الزيني بركات ــ والتي هي شخصية حقيقية ذكرت في كتاب بدائع الزهور باسم بركلت بن موسى ــ فإنها في هذه الرواية لا تبقى أسيرة مرجعيتها التاريخية، بل تتصرف بالطريقة التي يمليها فعل السرد الروائي ومنطق الأحداث، ومن ثمّ، فالتحول الشخصية إلى شخصية روائية، وإذْ هي تتحرر من زمنيتها التاريخية تصبح نموذجا لكل شخصية تمارس التسلط، من موضع منصبها السلطوي ضد أفراد رعيتها ، سواء حدث ذلك في الماضي أو يحدث في الحاضر[33]

ولمّا كان السرد الروائي هو الذي يوجه الأحداث ويتحكّم في بنائها، فإنّ الوثيقة ذات الأصل التاريخي تتحول بدورها في الرواية إلى وثيقة روائية تخييلية لا يمكن التثبّت من مطابقتها للأصل إلا بالعودة للمصادر التي أخذت منها.

وهنا نكون إزاء حالتين من حالات التلقي، الأولى لا يشغل فيها المتلقي اهتماما بتطابق الوثيقة الروائية مع الوثيقة التاريخية،وقد يسلّم بصدقها أو لا يسلّم، وسيمتد في تأويله إلى المعطيات النصية داخل النص فحسب، أما الحالة الثانية فهي حالة المتلقي الفضولي أو المتخصص المهتم، كما هو الشأن بالنسبة للمتلقي/ الناقد، فإن فضوله واهتمامه النقديين يحتّمان عليه العودة إلى الوثيقة التاريخية الأصل ومعاينتها لإجراء مقارنة بينها وبين تلك التي تمّ إدراجها في خطاب الرواية، كما فعل سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي.

إذْ قام بمقارنة بين الخطاب التاريخي والخطاب الروائي على مستوى إشتغال عنصري الزمن والصيغة بهدف الكشف عن تميّز خطاب " الزيني بركات "عن الخطاب التاريخي، وبعد معاينة مقطع سردي من كتاب ابن إياس، حاول من خلاله الوقوف على الرؤية السردية المستعملة في خطابه[34] تبيّن له بعد ذلك أن " الراوي من خلال استعماله ضمير الغائب في إرسال مادته يقيم بينه وبين الحدث مسافة، ومن خلال هذه المسافة يبدو متعاليا على مادته وهذا يتيح له إمكانية تصيير الأحداث وفق تسلسلها الخارجي وعلاقتها السببية، وبهذا يمكن تفسير لجوئه إلى إشارات زمنية ناظمة في حال الإنتقال من سنة إلى أخرى أو من يوم إلى آخر"

مستنتجا أن أحادية الرؤية وليدة تصور محدد للمحكي، تتمثل في المعرفة المطلقة والصوتُ الأحادي/ وهي كلها علامات دالة على مبتغى الراوي الموجّه لعلمية القراءة، من خلال توجيه المتلقي (أو المرويّ له) ليشاركه رؤيته السردية إياها، ومن خلالها مشاركته لإبعادها الخارج ــ خطابية،أما في الرؤية المتعددة والمتحوّلة كما في "الزيني بركات" فإننا نجدنا أمام تعدد الرواة للمادة المروية الواحدة، وهذا يفترض أساسا احتمال قراءات متعددة وقراء متعددين ودلالات متعددة.

مما يؤكد تصرّف الروائي من خلال الرواة في مادة الحكي الواحدة، فتصبح الوثيقة وثائق متعدّدة مفتوحة على التأويل المتعدد.فضلا عن أن " الزيني بركات" تميزت بتعدد خطاباتها على مستوى الصيغ مما يبعدها في أسلوبها عن أسلوب الخطابي التاريخي ويجعلها متميزة كل التميّز عنه.

وهي ميزة تتميز بها العديد من الروايات العربية المعاصرة التي استدعت في خطابتها المادة التاريخية كوثائق، تمّ الإشتغال عليها في إطار تقنيات السرد الروائي وفضاءات تخييله،ومنها ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف ورواية الأمير لواسيني الأعرج.

وفي ذلك، تصبح مهمة المتلقي أكثر من مجرد قراءة أواسترجاع لأحداث روائية ذات مرجعية تاريخية، بل سيجد القارئ نفسه متورطا في إعادة قراءة تلك الأحداث،وفق رؤيته التأويلية الخاصة بتواطؤ من الروائي ــ ذاته ــ الذي تصرّف في المادة التاريخية بما يجعلها قابلة لتعددية القراءة والتأويل.

الهوامش

1) ولاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة،المشروع القومي للترجمة، القاهرة،1998، ص:73

2) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1998، ص:11

3) ولاس مارتن : نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، ص: 91

4) المرجع نفسه، ص:92

5) شعيب حليفي: المتخيّل والمرجع، سيرورة الخطابات، مجلة النقد الأدبي، فصول،العدد 66، ربيع 2005، ص:234

6) المرجع نفسه، ص:235

7) فرانسواز ريفاز : كتابة التاريخ بين فن السرد والعلوم الدقيقة، ترجمة باتسي جمال الدين، مجلة فصول ، صيف وخريف 2005، العدد 67، ص:190

8) عزت جاد: سيميوطيقا التاريخ في ثلاثية غرناطة، مجلة النقد الأدبي،فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، مصر،العدد 66، ربيع 2005، ص:145

9) المرجع نفسه،ص:145

10) المرجع نفسه،ص:145

11) سعيد يقطين : قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت، لبنان،ط1، 2012، ص:156

12) المرجع نفسه، ص:159

13) شعيب حليفي:المتخيّل والمرجع،سيرورة الخطابات،مجلة النقد الأدبي، فصول،العدد 66، ربيع 2005، ص:236

14) سعيد يقطين : قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ص:149

15) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص:262

16) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص:33/32

17) أمبرتو إيكو :التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004،الدار البيضاء، المغرب، ص:10

18) أمبرتو إيكو : المرجع نفسه، ص:12/11

19) الزواوي بغوره:الأنطولوجية التاريخية والمسألة التأويلية،مجلة النقد الأدبي، فصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،مصر ،ع66 ربيع 2005، ص:215

20) المرجع نفسه، ص:216/215

21) عزت جاد: سيميوطيقا التاريخ في ثلاثية غرناطة،مجلة النقد الأدبي، فصول،ع66 ربيع 2005، ص:148

22) برنار فاليط: النص الروائي، تقنيات ومناهج، ترجمة رشيد بنحدّو، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 36

23) خيري دومة،هموم المعيشة كما تصوّرها الرواية التاريخية (العصر المملوكي نموذجا) مجلة ثقافات تصدرها كلية الآداب بالبحرين ،ع24،2011 ، ص:90

24) المرجع نفسه، ص:90

25) المرجع نفسه،ص:97

26) المرجع نفسه، ص:97

27) طارق شفيق حقي:العنوان عتبة استهلالية ـــ في معاني العنوان ودلالته ،مجلة الرافد، تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ،الإمارات العربية المتحدة، العدد 175، 2012، ص:74

28) عبد الرحمن علي الحجي:التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (711ـــ 1492) دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص:518

29) ابن الجوزي:مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق محمد سيد، دار الفجر للتراث،القاهرة، مصر، ط 1، 1999، ص:77

30) خيري دومة،هموم المعيشة كما تصوّرها الرواية التاريخية (العصر المملوكي نموذجا) مجلة ثقافات ع 24، ،2011، ص:84

31) المرجع نفسه، ص :84

32) أحمد بقار،الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج ـــ الإستدعاء والدلالة، مجلة الأثر، جامعة ورقلة (الجزائر) العدد 19 جانفي 2014، ص:110